نشأة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وعلاقاته المركبة بشبكات الجريمة المنظمة 2007-2011

Al-Qaida's rise in the Islamic Maghreb and its complex links to crime networks Organization 2007-2011

د/ عبد الوهاب عمروش

جامعة أمحمد بوقرة بومرداس (الجزائر)

a.amrouch@univ-boumerdes.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/05 تاريخ القبول للنشر: 2021/05/17 تاريخ النشر: 2021/06/04

ملخص:

شهدت منطقة المغرب العربي والساحل في الفترة الممتدة ما بين 2007 و2011 انتشارا للجماعات الإرهابية على غرار التنظيمات المحلية كالجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر، الذي عرف انحسارا نحو الصحراء في سنة 2007 بفعل الانتصارات التي عرفتها الجزائر في معركتها ضد الإرهاب، وأمام هذا الوضع أعلنت هذه الجماعة ولاءها لتنظيم القاعدة العالمي وأعلنت نفسها تنظيما إقليميا تحت إسم تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، شهد هذا التنظيم تناميا كبيرا في نشاطاته خصوصا كون دول الساحل على غرار مالي والنيجر وموريتانيا، تعرف ضعفا وهشاشة في المؤسسات الأمنية وغياب التنمية وندرة الموارد، كل هذا جعل من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يبسط سيطرته على المنطقة، ويربط علاقات شبكية مع منظمات الجريمة المنظمة، ويتبادل المنافع معها من خلال توفير الأمن لها، مقابل ضمانها له موارد مالية من خلال نشاطات التهريب وتجارة المخدرات، والأسلحة والاتجار بالبشر، وتبييض الأموال.

الكلمات المفتاحية: تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، شبكات الجريمة المنظمة.

Abstract:

Between 2007 and 2011, the Maghreb and the Sahel region witnessed the spread of terrorist groups similar to local organizations such as the Salafist Group for Call and Combat in Algeria, which was defined as a retreat toward the Sahara in 2007 due to the victories Algeria has known in its fight against terrorism. In the face of this situation, this group declared its loyalty to Al-Qaeda Network and declared itself a regional organization under the name of Al-Qaeda Network in the Islamic Maghreb, which witnessed a great growth in its activities, especially as the countries of the Sahel like Mali, Niger and Mauritania know weakness and fragility in the security institutions, lack of development and lack of resources. All of this has led AQIM to take control of the region, to link up with organized crime organizations and to exchange benefits by providing security to them, in return for guaranteeing them financial resources through smuggling activities, drug trafficking, arms trafficking, and money laundering.

Key words: Terrorism, AQIM, organized Crime Networks.

1.مقدمة:

ظهر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي في سنة 2007 وهذا نتيجة انخراط الجماعات الإرهابية في دول المنطقة وإعلان ولائها لتنظيم القاعدة، وبالتالي شهدت دول المنطقة انتقالا نوعيا في تهديد النشاط الإرهابي، كون هذه الدول عرفت ركودا اقتصاديا، وتحولا كبيرا في القيم الاجتماعية والدينية بفعل موجات العولمة التي ضربت العالم، هذا بالإضافة التكالب الدولي على المنطقة نتيجة الاكتشافات المتزايدة للموارد الطبيعية في المنطقة. كما أن التضييق على تنظيم القاعدة في الشرق الأوسط يعد سببا رئيسا لاستقطاب التنظيمات المحلية في منطقة شمال إفريقيا والساحل، وهذا لفك الخناق على التنظيم، وتوسيع نشاطات فروعه في مختلف مناطق العالم.

ومنه يمكن طرح التساؤل التالي:

ما هي أسباب ظهور تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وما هي العلاقات الشبكية للتنظيم بباقي منظمات الجريمة المنظمة؟

للإجابة على الإشكالية نعرض الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: تحقيق الجزائر انتصارات في حربها على الإرهاب في سنة 2007 وانحسار نشاط الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الشمال، جعل هذا الأخير ينتقل إلى الصحراء ويعلن الولاء لتنظيم القاعدة، ويؤسس تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

الفرضية الثانية: ندرة الموارد وصعوبة جغرافية الساحل الإفريقي جعل من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، يربط علاقات شبكية مع منظمات الجريمة المنظمة التي تعتمد أساسا على التهريب والمخدرات والاختطاف مصادرا للتمويل.

الفرضية الثالثة: ضعف وهشاشة دول الساحل الإفريقي على غرار مالي ونيجر والتشاد والفراغ الأمني بها جعل من تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي وشبكات الجريمة المنظمة بديلا للمؤسسات الرسمية في المنطقة.

المناهج المستخدمة: المنهج المقارن: تحتاج الدراسة إلى التحليل من خلال المقارنة بين دول المغرب لعربي ودول الساحل لفهم للظاهرة محل الدراسة، كما يعتبر المنهج الاستقرائي خير وسيلة للاستدلال وفهم العلاقة بين جزئيات الموضوع، للانتقال من جزئيات الموضوع للوصول إلى الفهم التعميم لمتغيرات الدراسة.

النظريات المستخدمة: تعتبر نظرية الدولة الفاشلة من أكثر النظريات تفسيرا لتدهور الدول الهشة في منطقة المغرب العربي والساحل، كما أن مقاربة الأمن الإنساني: تفسر مدى تأثير غياب الأمن بجميع أبعاده على هشاشة وضعف الدول وتدهور الأمن بها.

لمعالجة الموضوع تم اعتماد المحاور التالية:

- مخاطر نشأة وتنامي القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي
- علاقة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بشبكات الجريمة المنظمة.

2. مخاطر نشأة وتنامي القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي

2.1 الخلفية التاريخية والإيديولوجية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي

ظهور تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ليس وليد الصدفة، بل هو نتيجة إعادة التركيب المتتالي للإسلام المتطرف في هذه المنطقة، كما لعبت التطورات الجيوستراتيجية الحاصلة في العالم دورا كبيرا.

يرجع نشاط الإسلام السياسي في منطقة المغرب العربي إلى الثمانينيات بل قبل استقلال الدول، فبمجرد انتصار حركات التحرر وتأسيس الدول المستقلة من طرف الأحزاب ذات الميول العلمانية، والتي قامت بتحجيم الإسلام السياسي، فالانغلاق السياسي الممارس في دول المنطقة أدى إلى توظيف المساجد من طرف الإسلاميين كمتنفس وحيد للتعبير (حركة الإخوان المسلمين).

فالمواجهات العنيفة في المغرب الأقصى ترجع إلى سنوات السبعينيات مع اغتيال المسؤول النقابي عمر بن حلون من طرف جماعة الشبيبة الإسلامية ذات التوجه الإخواني المصري. (Daguzan, Eté 2011, p. 28)

أما الجزائر وتونس فيرجع تاريخ ظهور التيار الإسلامي إلى بداية سنوات الثمانينيات من القرن العشرين، نتيجة التضييق الممارس من طرف الأنظمة هذا ما أدى إلى تفجير العصيان المدني في الجزائر، والدخول في حرب أهلية في فترة مابين 1992 و1998، أين رفعت الجماعات الإسلامية المتطرفة السلاح ضد النظام بعد إلغاء المسار الانتخابي وحظر نشاط الجبهة الإسلامية للإنقاذ. (Zoubir, 2009, p. 82)

إلى غاية 11 سبتمبر كان الوضع العام في المنطقة المغاربية تحت السيطرة، وفي ظل تفجيرات 11 سبتمبر 2001 وتغيير الولايات المتحدة إستراتيجيتها، وإعلانها الحرب على الإرهاب في أفغانستان ثم العراق، مرورا بالقرن الإفريقي واليمن، وهذا ما ضاعف من نشاط الجماعات الإسلامية المسلحة عوض القضاء عليها.(Bourgeot, 2011, p. 46)

فعلى سبيل المثال ترجع العلاقات بين الحركات المتطرفة في المنطقة وحركة طالبان إلى الحرب ضد الإتحاد السوفياتي أين شارك العرب في الحرب، وبعد نهاية الحرب الباردة عاد مئات العرب الأفغان إلى دولهم وبحوزتهم الخبرة والتدريب على السلاح.

مع إعلان ميلاد الجماعة السلفية للدعوة والقتال GSPC في الجزائر سنة 1998 المصادف لإنشاء بن لادن الجبهة الإسلامية العالمية، أعلن أمير الجماعة السلفية GSPC نبيل صحراوي دعمه لأسامة بن لادن ودعا إلى نصرته في حربه ضد الولايات المتحدة الأمريكية.

أما في 24 جانفي 2007 أعلن عبد المالك دروكال نهاية تنظيم GSPC وتعويضه بتنظيم جديد هو تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، ولعل الهدف الاستراتيجي لهذا الفرع الجديد لتنظيم القاعدة هو توحيد راية جميع الحركات الإسلامية في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل تحت لواء واحد، وهذا ما أدى إلى إعلان العديد من الجماعات الإسلامية في كل من ليبيا والمغرب الأقصى ولاءها لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، والذي اتخذ من الجنوب الشرقي للجزائر مركزا له. (أنظر الخريطة رقم 01). (Dris, 2009, p. 59)

الخريطة رقم 1: توضح مناطق تواجد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي

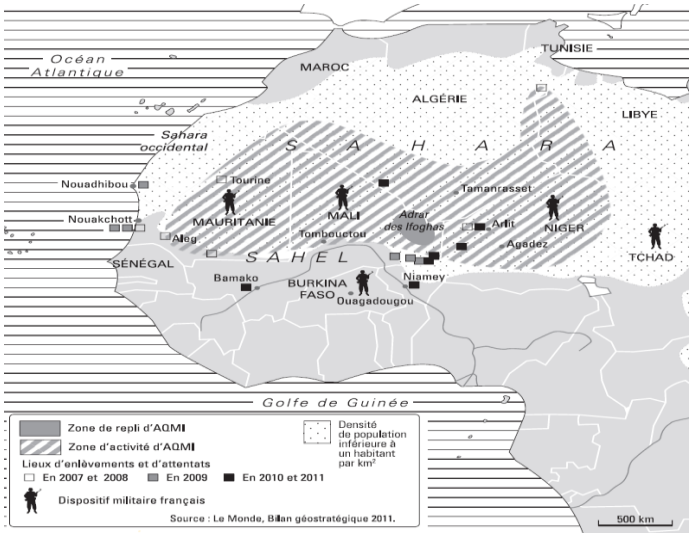

Source : (Bourgeot, 2011, p. 58)

أما عن تصاعد العمليات الإرهابية في المنطقة فقد عرفت فترة نهاية 2006 تصاعدا غير مسبوق في هاته العمليات، ففي الفترة مابين 23 ديسمبر 2006 إلى 3 جانفي 2007، شهدت عمليات إرهابية خطيرة ضد قوات الأمن التونسية من طرف جماعة إسلامية مسلحة في نابل.

وفي المغرب فجر انتحاري نفسه في مقهى أنترنيت بضواحي الدار البيضاء في 11 مارس 2007، كما استهدفت القنصلية الأمريكية في 14 أفريل من طرف أخوان في نفس المدينة.(Daguzan, 2011, p. 28)

أما في الجزائر وفي يوم 11 أفريل 2007 حدثت عمليتين تفجيريتين بسيارات مفخخة استهدفت قصر الحكومة ومقرا للشرطة، فالأول خلف حوالي 30 ضحية وأكثر من 200 جريح، كل هذه العمليات تبناها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. كما فجر انتحاري نفسه يوم 6 سبتمبر 2007 بالقرب من موكب الرئيس السابق بوتفليقة أثناء زيارته لولاية باتنة، كما حدث تفجير آخر يوم 8 سبتمبر استهدف ثكنة عسكرية بدلس ولاية بومرداس، ومنذ هذا التاريخ عرفت العمليات التفجيرية تواترا كبيرا.

أما في موريتانيا فمنذ 2005 ومصالح الأمن تحت قيادة الرئيس معاوية ولد سيد أحمد الطايع تتكلم عن الخلايا النائمة للجماعات الإرهابية خصوصا في نواقشط، فولد الطايع رفض الإسلام السياسي ورفض منح الاعتماد لأحد الأحزاب الإسلامية، بحجة ارتباط هذا الحزب بالارهاب العالمي، كما أعلن أنه في الفترة ما بين 2005- 2006 أن هناك موريتانيين منخرطين في كتيبة الجماعة السلفية للدعوة والقتال، ثم بعد ذلك في تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا للاستفادة من التدريبات العسكرية والتكوين الإيديولوجي.

وكان لاغتيال أربعة سياح فرنسيين في موريتانيا سنة 2007، والاعتقالات العديدة في نواقشط في السداسي الأول من 2008، دليل على ارتباط موريتانيين بتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، كون الموقوفين هم من التيار الإسلامي المتطرف ومن العائلات الفقيرة التي تسكن في ضواحي نواقشط، ومن بين هؤلاء الانتحاري الذي قام بعملية انتحارية أمام السفارة الفرنسية في نواقشط في أوت 2009. (Antil Alain, 2011, p. 68)

2.2 تكوين تنظيم القاعدة في بلاد المغرب وتعداد عناصره:

تشير الدراسات بأن التصورات حول تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي تكونت من خلال الوثائق المنشورة، ومواقع الأنترنت والتسجيلات الصوتية ومواقع التواصل الاجتماعي، وبالتالي فأغلب الدراسات عن التنظيم تعتمد على منهجية معالجة المعطيات الواردة في المصادر سالفة الذكر في الفترة ما بين 2007-2011. (Guidère, 2011, p. 62)

فتطور تعداد أفراد التنظيم هي بناء على العدد الكامل (القتلى، الجرحى، الموقوفين، الذين سلموا أنفسهم للسلطات)، فالأرقام المعروضة هي من المصادر الرسمية وغير الرسمية والتي تبقى نسبية، فالعدد المقدر من هؤلاء الأفراد هو 1000 عنصر مقاتل في منطقة المغرب العربي والساحل، مع تسجيل خسائر في الأرواح بنسبة 50 % منهم في السنة (أنظر الجدول 1)

الجدول رقم1: يبين تعداد عناصر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

السنة	العدد الموقوفين	عدد القتلى	العدد الكلي (القتلى، الجرحى، الذين سلموا أنفسهم)
2007	280	299	605
2008	291	210	550
2009	376	260	679
2010	298	242	564
جوان 2011	52	32	117

Source: (Guidère, 2011, p. 60)

يتجدد تعداد عناصر التنظيم سنويا بنسبة 50 %، ففي نهاية 2010 تشير التقديرات حسب وثائق نشرتها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، أن أغلب أعضاء "لواء الصحراء" في الجنوب هو من موريتانيا (150 عضو)، مالي (حوالي 100)، الباقي هو من دول النيجر، التشاد، بوركينافاسو، وبعض الوافدين من السودان والصومال ونيجيريا. أما في منطقة شمال الصحراء فأغلبهم من الجزائريين، ومن غير الممكن تقديم أرقام دقيقة حول أفراد من جنسيات تونسية وغربية وليبية.

أما عن قيادات التنظيم فهي مقسمة بين أمراء يحكمون أقاليم جغرافية معينة كدرودكال في الشمال، يحيى أبو عمار في الجنوب، أبو زيد في الجنوب الشرقي، بلمختار في الجنوب الغربي، وعبد الكريم التارقي في إقليم كيدال بمالي، ويشهد التنظيم هيكل تنظيمي محكم أين يعلن المقاتلون الولاء المطلق لأمرائهم، حتى وإن لم يلتقوا بهم بصفة مباشرة، وبدورهم يعلن الأمراء الولاء لأمير تنظيم القاعدة أسامة بن لادن ثم خليفته أيمن الظواهري، وتعتبر كل العمليات الجهادية هي باسم الأمير المباشر ولصالحه، حتى لو لم يشارك شخصيا في التخطيط والتنفيذ.(Larémont, 2011, p. 247)

2.3 عمليات تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

من خلال الجدول رقم 2 يتضح أن سنة 2008 كانت سنة انتعاش عمليات اختطاف الرهائن الغربيين في منطقة المغرب العربي والساحل، أين قام "لواء الصحراء" باختطاف رعايا من دول غربية خصوصا كندا

والولايات المتحدة الأمريكية، كلهم تم الإفراج عليهم مقابل فدية باستثناء الرعية البريطاني إدوين داير Edwin Dyer الذي تم إعدامه في 31 ماي 2009، والرعية الفرنسي ميشال جرمانو Michel Germaneau الذي أعدم في 25 جويلية 2010.

جدول رقم 2: يوضح عدد العمليات الإرهابية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي (جانفي 2007-جوان 2011)

العمليات / السنة	عدد التفجيرات	عدد الكمائن	عدد العمليات الإنتحارية	عدد عمليات اختطاف الرهائن الغرب
2007	76	27	18	11
2008	63	24	12	32
2009	58	28	8	14
2010	27	19	4	18
جوان 2011	19	10	0	5

Source : (Guidère, 2011, p. 61)

في ليبيا وفي بداية 2007 أعلن القيادي الليبي في تنظيم القاعدة "أبو ليث الليبي" الجهاد على الزعيم السابق العقيد معمر القذافي، بعد إعلان هذا الأخير الصلح مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد عداوة لسنوات طوال، وتحويلها إلى دولة حليفة وفتح لليبيا للوجود العسكري الأجنبي، وقد أعلن أبو ليث الليبي قبل اغتياله في إقليم وزيرستان في باكستان سنة 2008 عن التحالف بين الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة GICL وتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي. بالتالي أصبحت الأولى بمثابة فرع للثانية. (Guidère, 2011, p. 68)

لعل الدليل على هذا الحلف التسجيل الصوتي للرقم الثاني في تنظيم القاعدة الأم أيمن الظواهري في 11سبتمبر 2007، الذي أعلن فيه انضمام الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة للتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، ودعا أمة الإسلام في المغرب العربي إلى التوحيد تحت راية الإسلام والجهاد ضد الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإسبانيا، لتطهير أراضي المغرب الإسلامي من الصليبيين وأتباعهم حسب زعمه، أي كل من معمر القذافي، زين العابدين بن علي، عبد العزيز بوتفليقة، ومحمد السادس. (Guidère, 2011, p. 62)

الخريطة رقم:2 عدد العمليات الإرهابية في منطقة المغرب العربي والساحل منذ 11.09.2001

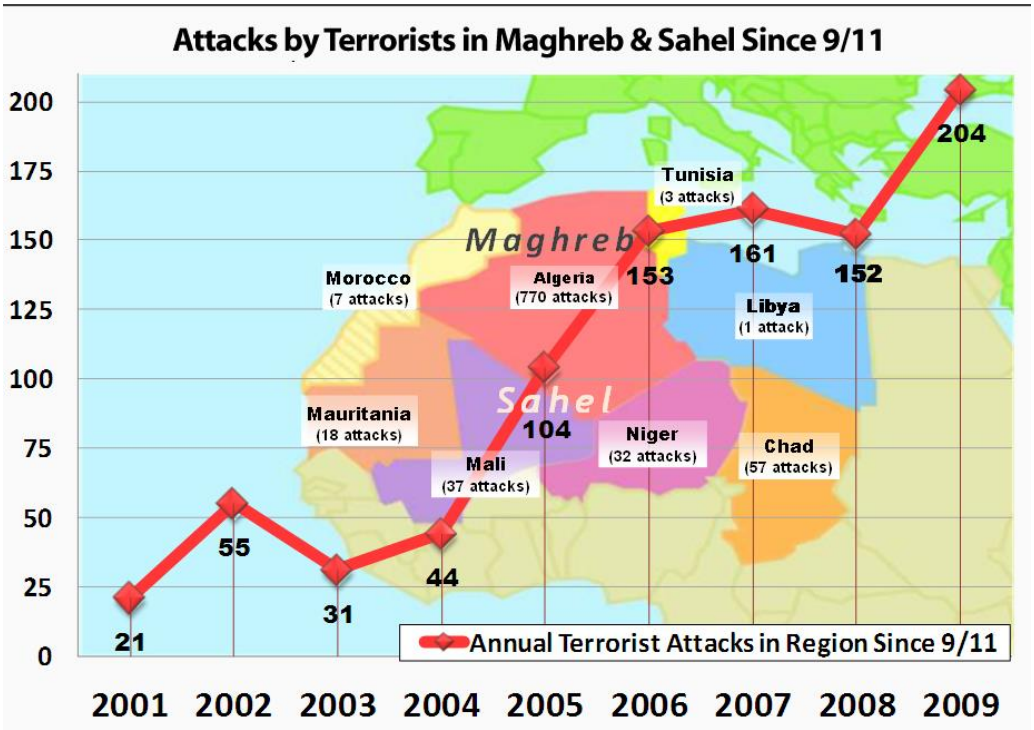

Source: (Alexander, www.potomacinstitute.org, p. 2)

2.4 مصادر تمويل عمليات تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

يعتمد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي على مصدرين رئيسيين: هما الأموال المحصلة من الضرائب أو الأتاوات، ما يسمى "بالجزية" التي يفرضها زعماء التنظيم على تنقل البضائع السلع المهربة، بالخصوص المخدرات والاتجار بالبشر، والتي تمر عبر المناطق الواقعة في الصحراء الكبرى والتي تقع تحت سيطرة التنظيم، دافع عن هذا المورد التقليدي الأمير مختار بلمختار، والذي يتحاشا الاختطاف ويعتبره مثير لنزعة الغرب لشن ضربات عسكرية من أجل استرجاع رعاياها المختطفين ، أما المورد الآخر هو الفدية وهي مبالغ مالية تسددها الدول الغربية مقابل استرجاع رعاياها من السياح أو العاملين في الشركات النفطية، والمناجم الموجود في منطقة المغرب العربي والساحل والمختطفين، ويصنف الاختطاف في حد ذاته بأنه جهاد حسب قادة التنظيم، وبالتالي فالمختطفين هم أسرى حسب الموروث القانون الإسلامي المزعوم للحرب، وبالتالي يجوز التفاوض مع دولهم عن طريق تبادل الأسرى الموجودين في السجون الغربية، أو طلب الفدية لتقديمهم إلى حكومات دولهم، ولعل أهم المدافعين على هذا المورد الأمير "عبد الحميد أبو زيد"، والذي يعتبر أن المصدر التقليدي هو لا يتوافق مع الشريعة كون الموارد المهربة أغلبها من المخدرات والمواد المحرمة شرعا.(Keenan, 2009, p. 26)

منذ 2008 حصل إجماع بين قادة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي على توحيد مصادر التمويل السالفة الذكر واعتبارها متوافقة مع الشريعة الإسلامية في حسبهم، كل هذا من أجل تمويل العمليات الإرهابية في المنطقة.

الجدول رقم 3: يوضح مصادر المادية لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي:

المصادر / السنة	الفدية (مقابل تسليم المختطفين) مليون أورو	الجزية (الضرائب على التنقلات) نسبة مئوية	التجارة (التهريب، السطو)	الزكاة (الصدقات، التبرعات) نسبة مئوية
2007	11 مليون	%10	غير معروف	%10
2008	32 مليون	%10	غير معروف	%10
2009	14 مليون	%10	غير معروف	%10
2010	36 مليون	%10	غير معروف	%10
جوان 2011	90 مليون	%10	غير معروف	%10

Source : (Guidère, 2011, p. 63)

من خلال الجدول السابق يتضح أنه في الفترة مابين 2007 -2011 عرفت ارتفاعا كبيرا في مداخيل تنظيم القاعدة بثماني أضعاف أي من 11 مليون أورو سنة 2007 إلى 90 مليون أورو سنة 2011، وهذا ما زاد من عدد ونوعية النشاطات الإرهابية في منطقة الساحل الإفريقي، وعليه تساهم الدول الغربية بطريقة غير مباشرة من خلال دفعها للفدية لاسترجاع رعايها المختطفين لدى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، بطريقة غير مباشرة في تمويل وازدهار نشاطات الجماعات الإرهابية في المنطقة. وهذا ما ترفضه الجزائر جملة وتفصيلا وتعمل على تجريم دفع الفدية في المنابر الدولية.

3. علاقة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي بشبكات الجريمة المنظمة.

تعرف منطقة المغرب العربي تهديدات لا تماثلية أخرى متصاعدة على غرار تجارة المخدرات وشبكات الجريمة المنظمة، هذا الانتشار راجع إلى تراجع سيادة الدولة أمام العولمة المتمثلة في حرية تنقل الأشخاص والسلع والأفكار والأموال، وكون دول المغرب العربي تقع في موقع استراتيجي يمتد إلى عمق الصحراء الكبرى، مطل على المحيط الأطلسي وغير بعيد عن السواحل الدول الأوروبية خصوصا من جهة المغرب، هذا ما جعل المنطقة ممرا رئيسيا لتنقل السلع المهربة وبالخصوص المخدرات.(Julien, 2011, p. 126)

3.1 تهريب الحشيش في منطقة المغرب العربي:

يعتبر المغرب الأقصى أكبر دولة منتج للحشيش في العالم بنسبة 21% من الإنتاج العالمي، وأهم المناطق التي تنتج بها هذه المادة كل شفشاون، حسيمة، طونال، وتراجع إنتاج القنب الهندي من 3060 طن في سنة 2003 إلى 1066 طن سنة 2005، وأقل من 1000 طن في سنة 2008، وتعمل في حقول الإنتاج حوالي 800 ألف مغربي في شكل عائلات منتجة، ولعل السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى التدهور الحاد للأوضاع الاجتماعية ،وغياب التنمية بمناطق الريف البعيدة عن المدن الكبرى.

لنقل مادة الحشيش نحو إسبانيا يعمل بارونات المخدرات المغاربة بالتنسيق مع البارونات في الجزائر على تهريب الحشيش نحو أوروبا ودول الشرق الأوسط والأدنى، بالإضافة إلى تزايد الاستهلاك المحلي الواسع في المغرب والجزائر.(Julien, 2011, p. 126)

ويسعى بارونات التهريب في المغرب والجزائر إلى مراوغة قوات الأمن وشرطة الحدود، وفي بعض الأحيان استعمال الرشوة لتمرير كميات كبيرة عبر الحدود، وعموما توجد ثلاثة معابر برية رئيسية: وهران-الجزائر – مرسيليا/ أليكانت، وهران- كتامة- سبدو- مشرية- نعامة –أدرار- ليبيا، وهران – سيدي بلعباس- معسكر- تيارت- سطيف – تبسة – تونس. (أنظر الخريطة رقم 3)

الخريطة رقم 3: توضح أهم الممرات البرية للحشيش المغربي عبر الساحل والصحراء

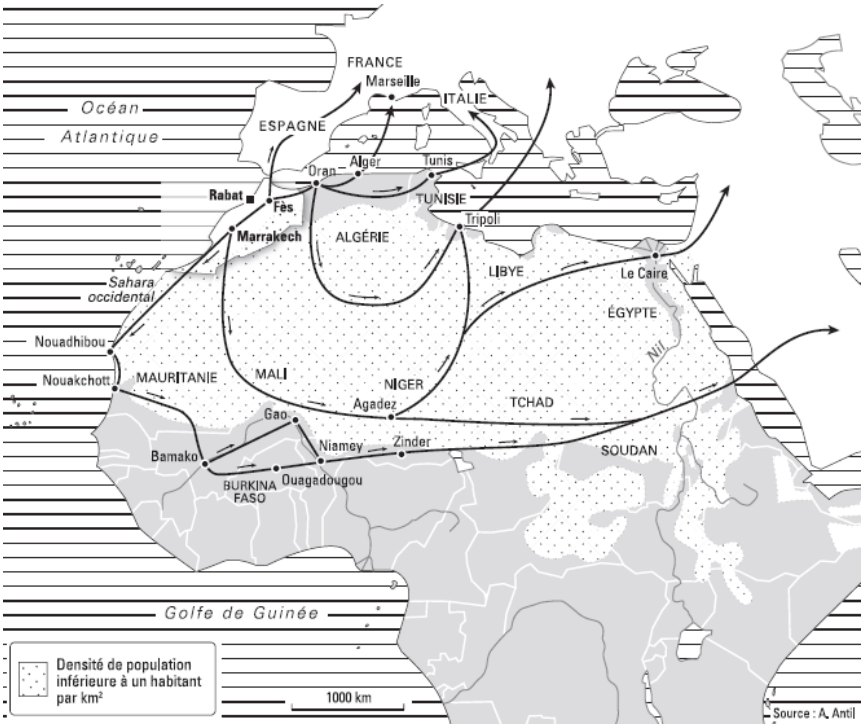

Source : (Julien, 2011, p. 128)

وقد تمكنت شبكات تهريب المخدرات سنة 2009 من تهريب ما قيمته 900 طن عن طريق الجزائر، وهذا يعتبر مؤشر خطير على الاقتصاد الجزائري، والصحة العامة، كون دخول كميات كبيرة يؤدي بالضرورة إلى تحويل جزء كبير منها نحو الاستهلاك الداخلي، وما ينتج عنه من انتشار الجريمة والآفات الاجتماعية التي تهدد استقرار الجزائر.

هذا بالإضافة إلى طريق الساحل الصحراوي الذي ازدادت أهميته مع بداية سنة 2000، فالممنوعات تهرب من شمال المغرب إلى غاية موريتانيا، نحو مالي وتمر إلى شمال نيجر. فتشير تقارير استخبارات موريتانية أن ثلث المخدرات المغربية تمر عبر موريتانيا نحو الساحل أي حولي 300 طن. ويبلغ سعر الكيلوغرام من الحشيش 800 أورو في المغرب، بينما يبلغ 4000 أورو عندما يقطع البحر الأحمر نحو آسيا وأوروبا.(Julien, 2011, p. 128)

3.2 تهريب الكوكايين إلى إفريقيا عبر الساحل:

قبل 2005 لم يكن الكوكايين محل اهتمام في منطقة المغرب العربي والساحل والذي يحتجز منه حوالي 1 طن سنويا، إلا أنه في الفترة الممتدة ما بين 2005 و2008 تم حجز 46 طن في دول إفريقيا الغربية،

أو في بواخر نحوها، هذه الأرقام تشير إلى انتشار هذه المادة في كل من غينيا بيساو، وغينيا، وتوسع نحو السنغال وموريتانيا، وبدرجة أقل خليج غينيا وغانا والبنين.(Julien, 2011, p. 128)

هذا الكوكايين المهرب نحو إفريقيا الغربية ليس للاستهلاك المحلي ولكن للتهريب مرة أخرى نحو أسواق الاستهلاك الأوروبية، والمقدرة بـ 15% من الكوكايين المنتج عالميا والذي يمر نحو إفريقيا الغربية.

كما تعتبر منطقة شمال مالي هي من أهم المناطق تواجد شبكات المخدرات العابرة للقارات، وهنا تلعب بعض القبائل دورا رئيسيا في تطوير هذا النوع من التجارة، بالرغم من اعتبار سكان المنطقة ذات الأغلبية المسلمة أن مداخيل تجارة المخدرات محرمة في الشريعة الإسلامية، إلا أن بعض العائلات كونت ثروة في هذا المجال لندرة كل من الموارد والمصادر المشروعة للرزق.

فالإنتاج العالمي يتغير من سنة إلى أخرى، (1080 طن سنة 2004، 980 طن سنة 2005، 910 طن سنة 2006، 994 سنة 2007). (Julien, 2011, p. 130)

ومنه يمكن القول أن الإرهاب الدولي من أهم المخاطر التي تتربص بمنطقة المغرب العربي، خصوصا في ظل تصاعد المد الإسلامي نتيجة غياب الأطر العملية للتحول الديمقراطي السلمي، ويعتبر تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي الذي ينشط في المنطقة من أخطر التنظيمات الإرهابية كونه يعتمد على المزج بين الإرهاب والجريمة المنظمة، كاختطاف الرهائن الغربيين وطلب الفدية مقابل تحريرهم، أموال الفدية هاته تعمل الجماعات الإرهابية على تبييضها من خلال شبكات الجريمة التي تطورت بشكل كبير في المنطقة خصوصا شبكات تهريب المخدرات وتهريب الأسلحة.

3.3 الاتجار غير المشروع بالأسلحة:

يعتبر تهريب الأسلحة من بين أهم الظواهر المتعلقة بالتجارة غير المشروعة في منطقة المغرب العربي والساحل، وتتركز بالخصوص في منطقة حوض نهر مانو Mano في غرب إفريقيا، وترتبط انتشار تجارة الأسلحة بحدة النزاعات في منطقة غرب إفريقيا مثلها مثل التشاد والسودان والصومال، ويحتل هذا النوع من التجارة أهمية كبيرة نظرا لتعدد مصادر التموين بالأسلحة.

يفضل مهربو الأسلحة في شمال الساحل عدة ممرات: في منطقة كيدال يوجد محور كيدال –تين-إكاسو- تاماسينا- تيجررت- حدود الجزائرية النيجرية، في منطقة تومبوكتو يوجد محور تومبوكتو- حدود موريتانيا مع البوليزاريو، وهذه الممرات مازالت مستخدمة إلى يومنا هذا، وحتى الجماعات المحلية هي منخرطة في هذه التجارة مع شبكات التهريب الإقليمية والدولية.

يعتبر أحد الباحثين في الشؤون الأمنية في المنطقة أن تنظيم الجماعة السلفية للدعوة والقتال GSPC كان يشتري الأسلحة عن طريق بعض التوارق وهم سكان الدول المجاورة، وفي يوم 31 جانفي 2004 تم توجيه ضربات جوية على مجموعة شاحنات محملة بالأسلحة في عين صالح، كانت قادمة من النيجر ومتوجهة نحو الجزائر، وهذا بعد تقديم الولايات المتحدة صور عن طريق الأقمار الصناعية للجزائر.

كما يشير المختصون أن المنطقة يتداول بها كمية كبيرة من الأسلحة فعلى سبيل المثال تم تقدير 8100 قطعة كلاشنكوف موجودة في الساحل، كما تم العثور على أسلحة من نوع بيريتا AR 70 تم استعمالها في الحرب الأهلية في لبنان بين أيدي الجماعات الإسلامية أثناء الحرب الأهلية في الجزائر، هذا بالإضافة إلى بنادق الصيد، رشاشات آلية، وألغام اليد، وصواريخ مضادة للدبابات، مع هذا الانتشار الكبير للأسلحة في شمال مالي وتدني أسعارها أصبح جميع سكان هذه المناطق الحدودية يحملون أسلحة، كل هذا يعمق تهديد الاستقرار مالي.(Sadibe, 2012, p. 27)

3.4 أشكال التجارة غير المشروعة في المغرب العربي والساحل:

عرف تهريب وتجارة المواد الغذائية انتشارا واسعا عبر الحدود خصوصا مع مالي والنيجر، ولعل أهم هذه المواد السميد والحليب الذي يصنع في الجزائر، وهو ما يعرف بمسحوق الحليب "تهريب اللحضة" باعتبارها مادة أساسية نحو مالي ودول الساحل، فقد بلغ تقدير حجم المواد المهربة في سنوات التسعينات حوالي 3 مليار فرنك سنويا، وهي بيد أكبر العائلات على الحدود في النيجر وليبيا، إلا أنه مع دخول الجزائر في إصلاحات هيكلية في التسعينيات بفعل مشروطية صندوق النقد الدولي، المتمثلة في تحرير الأسعار، أدى إلى تراجع كبير في تهريب هذه المادة نحو دول الساحل، ولجوء شبكات التهريب خصوصا من العائلات على الحدود إلى اللجوء إلى مواد أخرى لضمان دخلها، أما في سنة 1994 تشير التقديرات أن حجم التجارة غير المشروعة بين كل من الجزائر والمالي والنيجر قدرت بـ حوالي 18 مليار فرنك، هذا مع بقاء مادة الوقود المدعمة في الجزائر من بين المواد المهربة في المنطقة إلى غاية يومنا هذا.

عموما وفي العقد الأول من الألفية الثالثة عرفت التجارة غير المشروعة عبر دول الساحل تنوعا كبيرا، وتدويلا شمل تجارة السيارات المسروقة، الأسلحة، المخدرات، فالسيارات المهربة قادمة من موانئ خليج غينيا، وتمر على الجمارك الموريتانية، أو تباع مباشرة في مالي، أو بوركينا فاسو.(Scheele, 2011, p. 158) أما الأسلحة فهي إما تأتي من مناطق النزاعات، وهنا يمكن القول عن تهريب الأسلحة من انطلاقا من تشاد عن طريق شمال شرق النيجر، باتجاه الجزائر في فترة التسعينات وهذا لإذكاء الحرب الأهلية، وأيضا تذهب بعض الأسلحة نحو المتمردين في مالي، وإما تأتي مباشرة من الصين.

من خلال ما تقدم يتبين أن تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي ومن خلال تموقعه في منطقة الساحل الإفريقي والتي تتميز بغياب الموارد وصعوبة المسالك الصحراوية، وقساوة المناخ الحار على مدار السنة، ونظرا لكون المنطقة غير آهلة بالسكان باستثناء بعض العائلات القاطنة على الحدود، والبدو الرحل الذين يعتمدون على التجارة عبر الحدود من خلال المقايضة، نتيجة غياب البنية التحتية، ونقص كبير للمرافق الصحية والتعليمية، وبعد الإدارات المحلية عنها، جعل من التنظيم يربط علاقات شبكية مع جماعات الجريمة المنظمة وبعض السكان المحليين، من خلال تبادل المصالح معها، أي توفير الحماية لها، مقابل الاستفادة من خدماتها المتعلقة بتهريب السلع والمخدرات والأشخاص، وتبييض أموال الفدية التي يجنيها التنظيم من اختطاف الرعايا.

4. الخاتمة:

كان لأحداث 11 سبتمبر 2001 وإعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب العالمي واستهداف الإسلام واعتباره المصدر الرئيس للإرهاب، تأثيرا كبيرا على انتشار الجماعات المسلحة في المنطقة العربية عموما والمغاربية على وجه الخصوص، هاته الجماعات التي ترافع عن الإسلام وتريد تطبيق الشريعة بالقوة، ودحر الأنظمة المستبدة القائمة حسبها، أدى بدول المنطقة إلى الدخول في حرب ضد جماعات إرهابية قليلة العدد خفيفة العتاد تعتمد على حرب العصابات، وهي من أصعب الحروب وأطولها كون أحد أطراف الحرب ليس جيش نظامي.

كون الجزائر التي عرفت الظاهرة الإرهابية أكثر من جيرانها قرابة أكثر من عشر سنوات من الدماء والدمار مخلفة حوالي 200 ألف ضحية وآلاف الجرحى والمشردين، بالتالي كان من الضروري التنسيق بين الدول والحكومات من أجل القضاء على الظاهرة، وكون أغلب دول المغرب العربي والساحل من الدول الضعيفة التي ينتشر فيها الفقر والتخلف، يسهل استقطاب الشباب من العاطلين على العمل والناقمين على السلطة التي لم توفر ضروريات العيش، يتم استقطابهم من طرف الجماعات الإرهابية، التي توحدت سنة 2007 في تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وتوسيع مجال نشاطه ليشمل جميع دول المغرب العربي، من ليبيا شرقا مرورا بتونس والجزائر إلى موريتانيا والمغرب، لتوسع أيضا إلى الصحراء الكبرى ليشمل دول الساحل والصحراء.

منه وقفت دول المغرب العربي عاجزة في مواجهة هذه التحديات المتداخلة، مابين تحديات التنمية والخروج من دائرة التخلف، إلى تحديات أمنية خطيرة كالإرهاب والجريمة المنظمة، وتبييض الأموال، والهجرة غير الشرعية وتجارة المخدرات، تهريب السلاح.

ومنه يمكن تسجيل أهم الاستنتاجات التالية:

- يمكن القول أن العوامل الداخلية في منطقة المغرب العربي، المتمثلة في الأنظمة التسلطية وغياب الشفافية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، من أهم أسباب انتشار الخطاب الديني المتطرف، فالجماعات الإرهابية الإسلاموية في الفترة الممتدة بين 2007 و2011، ومطالبتها بالتغيير الجذري للأوضاع، كما أن الفقر هو أكبر حافز للشباب العاطل عن العمل للانخراط في هذه الجماعات الإرهابية.
- العشرية السوداء في الجزائر رغم آثارها الكارثية أكسبت الجزائر تجربة في مكافحة الجماعات الإرهابية في الجبال والمدن، من خلال توجيه ضربات لمعاقل هذه الجماعات مع إبقاء باب التوبة مفتوحا للعناصر المغرر بها، من خلال قانون المصالحة الوطنية.
- انحسار الظاهرة الإرهابية في الجزائر سنة 2007 جعل من الجماعات الإرهابية تتوارى في الجنوب نحو دول الساحل، وانتقالها من تنظيم محلي إلى تنظيم إقليمي يسمى تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

- هشاشة وضعف دول الجوار على غرار مالي والنيجر وموريتانيا وغياب التنمية في الأقاليم الواسعة خارج المدن الكبرى، وغياب سلطة الدولة والفراغ الأمني، جعل تنظيم الدولة في بلاد المغرب الإسلامي يملأ هذا الفراغ ويسيطر على مناطق واسعة من الساحل الإفريقي، وفرضه سلطته وقوانينه، ونظمه الاجتماعية والاقتصادية، والأمنية على ساكنة وأهالي المنطقة.
- تعتبر شساعة الحدود بين دول المغرب العربي والساحل وندرة الموارد وقلة عدد السكان في الصحراء، من بين الأسباب التي جعلت تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي يربط علاقات شبكية مع باقي منظمات الجريمة المنظمة التي تعرف المنطقة جيدا، ويتبادل المنافع والمصالح معها، كل هذا ساهم في إطالة عمر التنظيم وتنامي سطوته.
- لقد ساهمت الدول الغربية في التمويل غير المباشر لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي من خلال دفع الفدية لاسترجاع رعاياها، على الرغم من ذلك ترافع دول المنطقة وعلى رأسها الجزائر في المنابر الدولية من أجل تجريم دفع الفدية، لتجفيف منابع الإرهاب والقضاء عليه.
- تعتبر الكراهية نحو الغرب وبالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية وسياستها التدخلية بعد 11 سبتمبر 2001 في كل من أفغانستان والعراق وانحيازها المطلق للكيان الصهيوني المحتل للأراضي الفلسطينية، كل هذا ما أدى إلى مزيد من التطرف حيال هذه الدولة واعتبار أنظمة الدول العربية حليفة لها في حربها على الإرهاب، وبالتالي تنامي العداء نحوها.
- تعتبر التدخلات الأجنبية في دول المنطقة كون هذه الأخيرة غنية بالموارد الطبيعية، من بين الأسباب التي تزيد من استقطاب الجماعات الإرهابية كتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وتجنيده لشباب المنطقة، والاقتناع بضرورة طرد القوات الأجنبية باستعمال الوازع الديني كالجهاد ضد العدوان.

5.قائمة المراجع:

- Alexander, Y. *Maghreb and Terrorism Addressing rising threat from al-Qaida and other terrorists in north and west central Africa.* www.potomacinstitute.org
- Antil Alain, S. T. (2011). Mali et Mauritanie pays sahéliens fragiles et états résilients. *politique étrangère* (75215).
- Bourgeot, A. (2011). Sahara de tous les enjeux. (H. r. géopolitique, Éd.) *Hérodote revue de géographie et de géopolitique* (142).
- Daguzan, J. F. (2011). D'Al-Qaïda a l'AQMI de la menace globale aux menace locale. *Institut choiseul pour la politique internationale et la Géoéconomie* (208).
- Dris, C. (2009). L'Algérie et le sahel : de la fin de l'isolement a la régionalisation contraignante. *Institut choiseul pour la politique internationale et la Géoéconomie* (200).
- Guidère, M. (2011). AlQaida au Maghreb Islamique : le Tournant des révolutions arabes. *Institut choiseul pour la politique internationale et la Géoéconomie* (208).
- Julien, S. (2011). Le Sahel comme espace de transit des stupéfiants. Acteurs et conséquences politiques. , *Hérodote revue de géographie et de géopolitique, Paris* (142).
- Julien, S. (2011). Le Sahel comme espace de transit des stupéfiants. Acteurs et conséquences politiques. *Hérodote revue de géographie et de géopolitique* (142).
- Keenan, J. (2009). *The Dark Sahara Americas war on Terror in Africa* . Us: Pluto press.
- Larémont, R. R. (2011). Al-Qaida in the Islamic Maghreb: Terrorism and counterterrorism in the Sahe. *African Security* (4).
- Sadibe, K. (2012). *Security management in northern mali: criminal networks and conflict resolution.* institute of development study. Uk: institute of development study.
- Scheele, J. (2011). circulations marchandes au Sahara: entre licite et illicite. *Hérodote revue de géographie et de géopolitique* (143).
- Zoubir, Y. H. (2009). les Etats Unis et L'Algérie : antagonisme, pragmatisme et coopération. (Maghreb-Machrek, Éd.) *Institut choiseul pour la politique internationale et la Géoéconomie* (200).